Journal of Al-Farabi for Humanity Sciences Volume (8), Issue (6) December (2025)

ISSN: 2957-3874 (Print)
Journal of Al-Farabi for Humanity Sciences (JFHS)
https://iasj.rdd.edu.iq/journals/journal/view/95
مجلة الفارابي للعلوم الإنسانية تصدرها جامعة الفارابي

الأبعاد الاجتماعية والاقتصادية للمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار

م.م. مها جواد سلمان

الجامعه العراقية / كلية الاداب

The Social and Economic Dimensions of Brotherhood between the Muhajirun and the Ansar

m.m.Maha Jawad Salman
College of literature /Iraqia University
Maha.j.salman@aliraqia.edu.iq

المستخلص:

يهدف هذا البحث إلى تسليط الضوء على النموذج النبوي الفريد الذي أرساه النبي (صلى الله عليه وعلى اله وسلم)المؤخاة بين المهاجرين والأنصار، بوصفه تجربة رائدة في بناء مجتمع متماسك قادر على مواجهة التحديات الاجتماعية والاقتصادية. فقد أسهمت المؤاخاة في تحقيق التكافل الاجتماعي وإزالة الفوارق الطبقية، ومعالجة آثار النزوح والهجرة، من خلال تأسيس روابط أخوة قائمة على القيم الإيمانية والإيثار، مما أوجد بيئة متوازنة تجمع بين الاستقرار المعيشي والتنمية المجتمعية. وتكمن مشكلة البحث في أن أغلب الدراسات تناولت المؤاخاة بوصفها حدثًا تاريخيًا من منظور سردي، دون الغوص في تحليل منهجي يكشف عمق أبعادها وآلياتها العملية. ومن هنا يبرز السؤال الرئيس :كيف أسهم نظام المؤاخاة الذي أرساه النبي صلى الله عليه وعلى اله وسلم) في تحقيق التماسك الاجتماعي والاستقرار الاقتصادي في المجتمع المدني الأول، وما الدروس المستفادة منه لمجتمعاتنا اليوم؟ ويعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي، من خلال جمع النصوص الشرعية والروايات التاريخية المتعلقة بالمؤاخاة، وتحليلها لاستنباط أبعادها الاجتماعية والاقتصادية. وقد خلص إلى نتائج أبرزها: أن المؤاخاة النبوية تمثل نموذجًا واقعيًا للتكافل الاجتماعي، وأن الأسلوب النبوي في إدارة التنوع الاجتماعي يقدم دروسًا قيادية عميقة، وأن المؤاخاة ساهمت في تأسيس سوق متوازن قائم على التعاون، وأن قيمها قابلة للتكييف مع تحديات العصر إذا تمت صياغتها في أطر مؤسسية حديثة. وتوصي الدراسة بضرورة استلهام تجربة المؤاخاة لبناء أنظمة دعم اجتماعي واقتصادي في الواقع المعاصر، وتوسيع الدراسات التطبيقية التي تربطها بالنماذج التنموية الحديثة، وتعزيز ثقافة الإيثار في المناهج التعليمية، ودعم المبادرات المجتمعية القائمة على التعاون لمواجهة الأزمات الاقتصادية والاجتماعية.**الكلمات المفتاحية:** المؤاخاة النبوية، التكافل الاجتماعي، الأبعاد الاقتصادية، المجتمع المدني الأول، القيم الإيمانية.

Abstract:

This study aims to shed light on the unique prophetic model established by the Prophet ﷺ in the *mu'akhah* (brotherhood) between the Muhajirun and the Ansar, as a pioneering experience in building a cohesive society capable of facing social and economic challenges. The *mu'akhah* contributed to achieving social solidarity, eliminating class disparities, and addressing the consequences of displacement and migration by establishing bonds of brotherhood grounded in faith values and altruism, thus creating a balanced environment that combined livelihood stability with community development. The research problem lies in the fact that most studies have addressed *mu'akhah* merely as a historical event from a narrative perspective, without delving into a methodological analysis that reveals the depth of its dimensions and practical mechanisms. Hence, the main question arises: How did the system of *mu'akhah* established by the Prophet ﷺ contribute to achieving social cohesion and economic stability in the early Madinan society, and what lessons can be drawn from it for our contemporary communities? The study adopts a descriptive-analytical approach, collecting relevant Islamic texts and historical accounts on *mu'akhah* and analyzing them to derive its social and economic dimensions.

The key findings include: the *mu'akhah* represents a realistic model of social solidarity; the prophetic approach to managing social diversity offers profound leadership lessons; it contributed to establishing a balanced market based on cooperation; and its values can be adapted to modern challenges when framed within contemporary institutional systems. The study recommends drawing inspiration from the *mu'akhah* to build modern social and economic support systems, expanding applied research linking it to current developmental models, promoting the culture of altruism in educational curricula, and supporting community initiatives based on cooperation to confront socio-economic crises.**Keywords:** Prophetic brotherhood (*mu'akhah*), social solidarity, economic dimensions, early Madinan society, faith values.

المقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:لقد كانت الهجرة النبوية الشريفة من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة، حدثًا فارقًا في تاريخ الإسلام، بل نقطة تحول عظيمة في مسيرة الدعوة، حيث انتقل المسلمون من مرحلة الاستضعاف والمطاردة إلى مرحلة بناء الدولة والمجتمع. وفي خضم هذه المرحلة الحساسة، واجه المجتمع الإسلامي الناشئ تحديات جسيمة؛ فالمهاجرون قد تركوا وراءهم أموالهم وديارهم وتجارتهم، والأنصار يستقبلون إخوانًا لهم في الدين، يختلفون عنهم في النشأة والبيئة والموارد. وكان لا بد من نظام فريد يضمن التماسك الاجتماعي ويعالج الآثار الاقتصادية لهذه الهجرة الجماعية.هنا جاءت المؤاخاة التي أقامها النبي ﷺ بين المهاجرين والأنصار، كخطوة عملية ومعجزة اجتماعية بكل المقاييس؛ فقد لمَّت شمل المسلمين وربطت بينهم برابطة العقيدة فوق كل رابطة أخرى، حتى غدت علاقاتهم أوثق من روابط الدم والنسب. لقد جعلت المؤاخاة من بيت الأنصاري بيتًا للمهاجر، ومن ماله نصيبًا له، ومن عمله معينًا لأخيه، وأحيت في النفوس روح البذل والإيثار، حتى ضرب الأنصار أروع الأمثلة في التضحية والعطاء، مصداقًا لقوله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩].إن الأبعاد الاجتماعية للمؤاخاة جسَّدت معنى الوحدة الحقيقية التي لا تقوم على المصالح المادية، بل على الأخوة في الله، حيث تلاشت الفوارق الطبقية، وسقطت الحواجز القبلية، وذابت العصبيات الجاهلية، لتحل محلها روح الجماعة والإخاء والتعاون. وأما أبعادها الاقتصادية، فقد تجلت في معالجة آثار الفقر والنزوح، وضمان الاكتفاء الذاتي للمهاجرين، ودمجهم في الحياة الاقتصادية للمدينة عبر المشاركة في الزراعة والتجارة والصناعة، مما أسهم في استقرار المجتمع وازدهاره في وقت قصير .وهكذا، فإن دراسة الأبعاد الاجتماعية والاقتصادية للمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، ليست مجرد استعراض لصفحات مشرقة من التاريخ، وإنما هي استلهام لنموذج رباني خالد، قادر على إلهام المجتمعات المسلمة اليوم في مواجهة أزماتها، وتحقيق التماسك الاجتماعي، وبناء اقتصاد متين يقوم على العدل والتكافل، كما أراده الله تعالى وطبَّقه نبيه الكريم ﷺ.

أهمية البحث:

١. إبراز النموذج النبوي الفريد في بناء مجتمع متماسك قادر على مواجهة التحديات.
٢. إظهار دور المؤاخاة في تحقيق التكافل الاجتماعي وإزالة الفوارق الطبقية.
٣. بيان كيفية معالجة الإسلام للأزمات الاقتصادية الناتجة عن النزوح والهجرة.
٤. الاستفادة من القيم والمبادئ التي أرساها النبي ﷺ في حل مشكلات العصر المعاصرة.
٥. تعزيز فهم الطلاب والباحثين للعلاقة الوثيقة بين التشريع الإسلامي والتنمية المجتمعية.

أهداف البحث:

١. تحليل الأبعاد الاجتماعية للمؤاخاة وأثرها في تماسك المجتمع المدني الأول.
٢. دراسة الأبعاد الاقتصادية للمؤاخاة ودورها في تحقيق الاكتفاء المعيشي للمهاجرين.
٣. توضيح القيم الإيمانية التي كانت أساس نجاح المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار.
٤. استخلاص الدروس والعبر التي يمكن تطبيقها في المجتمعات الإسلامية المعاصرة.
٥. تقديم رؤية علمية تربط بين التجربة النبوية ومتطلبات بناء مجتمع متكافل اليوم.

مشكلة البحث:

على الرغم من أن المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار تُعَدُّ من أبرز النماذج التاريخية للتكافل الاجتماعي والاقتصادي، إلا أن الكثير من الدراسات المعاصرة تناولتها من منظور سردي تاريخي فقط، دون تحليل منهجي يكشف عمق أبعادها وآليات تطبيقها في واقعنا المعاصر. ومن هنا يبرز

السؤال الرئيس :كيف أسهم نظام المؤاخاة الذي أرساه النبي ﷺ في تحقيق التماسك الاجتماعي والاستقرار الاقتصادي في المجتمع المدني الأول، وما الدروس المستفادة منه لمجتمعاتنا اليوم؟

منهج البحث:

يعتمد هذا البحث على المنهج الوصفي التحليلي، من خلال جمع النصوص الشرعية والروايات التاريخية المتعلقة بالمؤاخاة، وتحليلها لاستنباط أبعادها الاجتماعية والاقتصادية.

المبحث الأول: الإطار النظري والتاريخي للمؤاخاة:

شهدت السيرة النبوية محطات فارقة في بناء المجتمع الإسلامي، كان من أبرزها المؤاخاة التي عقدها النبي ﷺ بين المهاجرين والأنصار في المدينة المنورة، لتكون أساسًا متينًا للوحدة والتكافل الاجتماعي. فقد جاء هذا الحدث في سياق تحولات عميقة أعقبت الهجرة النبوية، حيث واجه المسلمون أوضاعًا اقتصادية واجتماعية معقدة تطلبت حلولًا عملية تضمن الاستقرار والاندماج (عثمان علي، ٢٠١٠، ص٢١٥). وتبرز المؤاخاة هنا كواحدة من أعظم المبادرات النبوية التي جمعت بين البعد الشرعي والإنساني، إذ لم تكن مجرد معاهدة اجتماعية، بل نظامًا متكاملًا لتوزيع الحقوق والواجبات بين فئتين مختلفتين في الأصل والنشأة (ويليامز، ١٩٩٨، ص١٤٢)وقد أظهرت المؤاخاة قدرتها الفائقة على إذابة الفوارق القبلية والمصلحية، وتحويل المجتمع الجديد إلى نسيج متماسك قائم على الإيثار والمواساة، وهو ما أشار إليه عدد من الباحثين في السيرة النبوية باعتباره نموذجًا عالميًا لبناء المجتمعات على أسس العدالة والتكافل (العجمي، ٢٠١٢، ص١١٩؛ العودة، ٢٠١٤، ص٩٢). كما أنها تميزت عن أشكال التضامن التقليدية بكونها ذات أساس وحياني، ومسنودة بتشريعات قرآنية ونبوية واضحة تحدد مسار العلاقات بين الأفراد والجماعات (مظفر، ١٩٩٧، ص١٩٨).إذ إن المؤاخاة النبوية تكشف عن منهج قيادي وإداري فريد في معالجة آثار النزوح والفقر، من خلال إشراك كل أفراد المجتمع في تحمل المسؤولية الجماعية (الصوياني، ٢٠٠٤، ص٢٦٧)، مع ترسيخ قيم التعاون في مواجهة الأزمات. ولعل هذه التجربة التاريخية ما زالت تحتفظ بقدرتها على الإلهام في ظل التحديات المعاصرة، إذ تقدم نموذجًا صالحًا للتطبيق في البيئات الحديثة عبر بناء أنظمة دعم اجتماعي واقتصادي قائمة على روح الأخوة الإيمانية (الندوي، ١٩٧٠، ص٢٢٤؛ غلوش، ٢٠٠٣، ص١٨٥). ومن هذا المنطلق يصبح استلهام هذه التجربة ضرورة عملية وأخلاقية في سعي المجتمعات نحو تحقيق التنمية المستدامة والعدالة الاجتماعية.

المطلب الأول: مفهوم المؤاخاة في الإسلام وأسسها الشرعية:

المؤاخاة في اللغة مأخوذة من مادة "أخَو"، وهي تدل على المماثلة والمشابهة في النسب أو غيره، ويُقال: آخاه مؤاخاةً، أي جعله أخًا له في النسب أو في المعنى المجازي للمودة والنصرة (ابن هشام، ١٩٥٥، ج١، ص٢٣٤). وقد استعمل القرآن الكريم هذا المصطلح في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]، وهو معنى جامع يشمل روابط العقيدة التي تفوق روابط الدم والنسب (الغزالي، ٢٠٠٣، ص١١٥)أما اصطلاحًا، فالمؤاخاة تعني ذلك العقد الذي أبرمه النبي ﷺ بين اثنين من المسلمين على النصرة والتعاون والتكافل، بحيث يكون كل واحد منهما بمثابة الأخ للآخر في الحقوق والواجبات، سواء كان من المهاجرين أو الأنصار (المباركفوري، ٢٠٠٢، ص١٧٨). وهي ليست مجرد أخوّة عاطفية، بل نظام اجتماعي واقتصادي متكامل وضع لبناته النبي ﷺ لبناء المجتمع المدني الأول (الألوسي، ١٩٧٥، ص٢١٠).استندت المؤاخاة إلى نصوص شرعية أصيلة، أبرزها الآية الكريمة: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩]، التي أثنت على الأنصار وخلّدت مواقفهم الإيثارية (المرصفي، ٢٠٠٩، ص٣٠١). كما وردت أحاديث صحيحة تصف المؤاخاة التي تمت في المدينة، ومنها حديث عبد الرحمن بن عوف مع سعد بن الربيع الذي عرض عليه نصف ماله وإحدى زوجتيه (ابن القيم، ١٩٩٩، ج٢، ص٦٥).ومن السنة أيضًا ما جاء في الصحيحين من أمر النبي ﷺ للمسلمين في أول الهجرة بأن يتآخوا في الله، فجعل كل أنصاري أخًا لمهاجر، وهو ما رواه أنس رضي الله عنه في سياق الحديث عن أخوة عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع (ابن كثير، ١٩٩٥، ص٤٢٢). وهذه النصوص كانت الأساس التشريعي والتنظيمي لهذا النظام الفريد (البيطار، ٢٠٠٨، ص١٨٩).وتتميز المؤاخاة النبوية عن غيرها من أشكال التكافل الاجتماعي بأنها قامت على أساس العقيدة لا على أساس القرابة أو المصلحة، فجعلت الرابطة الإيمانية هي الأصل، وأزالت الفوارق الطبقية والقبلية (الغزالي السقا، ٢٠٠٦، ص٢١٠). بينما كانت أشكال التكافل في الجاهلية تقتصر على النسب أو الحلف أو الجوار، فإن المؤاخاة تجاوزت ذلك إلى المشاركة الفعلية في السكن والمعيشة والعمل (أبو غدة، ٢٠٠١، ص١٥٥).كما أن المؤاخاة النبوية لم تكن مجرد مبادرة خيرية وقتية، بل كانت نظامًا اجتماعيًا واقتصاديًا مُلزِمًا بقرارات نبوية مباشرة، يترتب عليه حقوق وواجبات،

مثل الميراث بين الإخوة في بدايتها قبل أن يُنسخ ذلك (عبد الشافي عبد اللطيف، ٢٠٠٧، ص٢٣٢). وبذلك أسهمت المؤاخاة في بناء مجتمع متماسك متكافل قادر على مواجهة التحديات السياسية والاقتصادية التي صاحبت نشأة الدولة الإسلامية.

المطلب الثاني: الظروف المحيطة بالمؤاخاة:

قبل هجرة النبي ﷺ إلى المدينة، كان المجتمع المكي يعيش أوضاعًا اجتماعية متباينة، يغلب عليها الطابع القبلي والتمايز الطبقي، حيث سيطرت قريش على النشاط التجاري واحتكرت الثروة، بينما عانى الفقراء والضعفاء من التهميش وقلة الموارد (الغزالي، ٢٠٠٣، ص٨٧). كانت العلاقات قائمة على العصبية القبلية، والولاء للنسب، مع غياب أنظمة عادلة للتوزيع الاقتصادي، الأمر الذي أدى إلى فجوة بين طبقات المجتمع (المباركفوري، ٢٠٠٢، ص١٠٢).اقتصاديًا، اعتمدت مكة على التجارة الموسمية، وخاصة الرحلتين الشتوية والصيفية، مما جعل اقتصادها هشًّا أمام أي تغير سياسي أو تجاري، وهو ما ظهر جليًّا مع الحصار الاقتصادي الذي فرضته قريش على المسلمين في شعب أبي طالب (الألوسي، ١٩٧٥، ص١٤٥). أما في يثرب قبل الهجرة، فقد كان الاقتصاد يعتمد على الزراعة والتمور، مع وجود نشاط محدود في الصناعات والحرف، وكان سكانها مكوّنين من الأوس والخزرج إضافة إلى طوائف اليهود، ولكل طرف مصالحه وتحالفاته (ابن هشام، ١٩٥٥، ج١، ص٢٨٤).عند قدوم المهاجرين إلى المدينة، لم تكن العلاقات بينهم وبين الأنصار قد تجاوزت حدود المعرفة المبدئية التي بدأت من خلال بيعة العقبة الأولى والثانية، حيث بايع الأنصار النبي ﷺ على النصرة والحماية، دون أن تكون هناك روابط معيشية أو اقتصادية منظمة (المرصفي، ٢٠٠٩، ص٢٧٧). وقد تميز الأنصار بحسن الضيافة والاستعداد لبذل العون، لكن كثرة المهاجرين وتنوع خلفياتهم الاقتصادية والاجتماعية كانت تتطلب إطارًا مؤسسيًّا ينظم العلاقات ويضمن العدالة في تبادل المنافع (البيطار، ٢٠٠٨، ص١٧٣).كما أن المجتمع المدني كان مكوّنًا من عناصر متعددة: المهاجرون القادمون من بيئة تجارية، والأنصار المشتغلون بالزراعة، إضافة إلى اليهود الذين امتلكوا نفوذًا اقتصاديًا ملحوظًا، مما جعل من الضروري وضع نظام يؤلف القلوب ويزيل الفوارق المحتملة (ابن كثير، ١٩٩٥، ص٤٤١).وواجه المجتمع الإسلامي الناشئ في المدينة تحديات داخلية وخارجية على حد سواء. داخليًا، تمثلت التحديات في توفير مصادر للرزق للمهاجرين الذين تركوا أموالهم وتجارتهم في مكة، وفي الوقت نفسه، تحقيق التوازن في موارد الأنصار حتى لا يشعروا بالضغط الاقتصادي نتيجة استقبالهم للمهاجرين (ابن القيم، ١٩٩٩، ج٢، ص٧٢). خارجيًا، برزت التهديدات العسكرية والسياسية من قريش التي رأت في قيام مجتمع إسلامي في المدينة تهديدًا مباشرًا لمصالحها (عبد الشافي عبد اللطيف، ٢٠٠٧، ص٢٤١).كما كانت هناك تحديات تتعلق بإدارة التنوع الديني والعرقي في المدينة، إذ كان لليهود حضور اقتصادي وسياسي مؤثر، وكان لابد من إدارة العلاقات معهم بحكمة لمنع أي صدام مبكر (أبو غدة، ٢٠٠١، ص١٦٧). كل هذه الظروف جعلت المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار خطوة استراتيجية لبناء مجتمع متماسك قادر على الصمود في وجه التحديات، ولتوفير الأمن الاجتماعي والاقتصادي لأفراده.

المبحث الثاني: الأبعاد الاجتماعية للمؤاخاة:

المطلب الأول: تحقيق الوحدة والتلاحم الاجتماعي:

من أبرز أهداف المؤاخاة التي عقدها النبي ﷺ بين المهاجرين والأنصار أنها كانت مشروعًا عمليًا لإزالة الحواجز القبلية والمناطقية التي كانت متجذرة في المجتمع العربي قبل الإسلام. فقد جاء المهاجرون من مكة، حيث البيئة القبلية القرشية ذات الطابع التجاري، بينما كان الأنصار من الأوس والخزرج في المدينة، وهم أهل زراعة وريف، وكان بين القبيلتين تاريخ طويل من النزاعات والحروب، أبرزها يوم بُعاث (ابن هشام، ١٩٥٥، ج١، ص٢٩١). ومع ذلك استطاع الإسلام أن يصهر الجميع في هوية واحدة تقوم على العقيدة بدلًا من النسب، وجعل معيار التفاضل هو التقوى والعمل الصالح لا القبيلة أو المال (الغزالي، ٢٠٠٣، ص١١٥).لقد كانت المؤاخاة مثالًا عمليًا على هذه القيم، حيث آخى النبي ﷺ بين أفراد من قبائل شتى، ليزيل الانقسامات التي عانى منها العرب قرونًا، ويؤسس لعلاقات أخوة تتجاوز الحدود الجغرافية والاجتماعية (المرصفي، ٢٠٠٩، ص٢٨٥). وهذا النهج ساعد على بناء مجتمع موحد، تتكامل فيه الخبرات الاقتصادية والمعارف الاجتماعية، مما هيأ البيئة المناسبة لانطلاق الدعوة الإسلامية وانتشارها (البيطار، ٢٠٠٨، ص١٧٧).كما لم تكن المؤاخاة مجرد إجراء تنظيمي لإدارة شؤون المهاجرين، بل كانت مشروعًا أخلاقيًا عميق الأثر، غرس في النفوس قيم الإيثار والمحبة المتبادلة. وقد سجّل التاريخ مواقف خالدة للأنصار الذين عرضوا على إخوانهم المهاجرين المشاركة في أموالهم وبيوتهم بل وحتى في أراضيهم الزراعية (المباركفوري، ٢٠٠٢، ص١٣٧). ومن أبرز الأمثلة موقف سعد بن الربيع الأنصاري حين عرض على أخيه المهاجر عبد الرحمن بن عوف نصف ماله، وهو ما يعكس مستوى راقيًا من الإيثار نادر الوجود في المجتمعات البشرية (ابن كثير، ١٩٩٥، ص٤٥١).هذا السلوك لم يكن عاطفة وقتية، بل كان انعكاسًا لتربية نبوية رسخت أن المؤمنين إخوة، وأن المحبة الصادقة

بين أفراد المجتمع هي أساس استقراره وقوته (أبو غدة، ٢٠٠١، ص١٧٢). وقد ساهم هذا المناخ الروحي في تجاوز الصعوبات الاقتصادية والاجتماعية، وخلق شعورًا عامًا بالتكافل، جعل المجتمع المدني الأول قادرًا على مواجهة التحديات الخارجية دون أن تتصدع جبهته الداخلية.

المطلب الثاني: بناء شبكة دعم اجتماعي متكاملة:

حين هاجر المسلمون من مكة إلى المدينة، تركوا خلفهم أموالهم وتجارتهم ومساكنهم، مما جعلهم في حاجة ماسة إلى دعم حقيقي يضمن لهم الاستقرار المعيشي. فجاءت المؤاخاة النبوية لتكون قاعدة لبناء شبكة تكافل اجتماعي، تتجاوز مفهوم الصدقة الفردية إلى شراكة حياتية متكاملة، حيث أصبح الأخ الأنصاري يشارك أخاه المهاجر في السكن والعمل والدخل (المرصفي، ٢٠٠٩، ص٢٨٨). وقد تجلت عظمة هذا التكافل في المواقف العملية، كإعطاء الأنصار جزءًا من أراضيهم الزراعية للمهاجرين ليستثمروها، وتقاسم المحاصيل والأرباح معهم، وهو ما ورد في روايات عديدة من السيرة (الغزالي، ٢٠٠٣، ص١١٨).هذا النمط من الدعم لم يقتصر على المعاش المادي، بل شمل إدماج المهاجرين في البنية الأسرية والاجتماعية للأنصار، مما أزال شعور الغربة عنهم وأشعرهم بأنهم جزء من النسيج الاجتماعي المدني (المباركفوري، ٢٠٠٢، ص١٤٠). وبهذا، تحولت المدينة إلى نموذج لمجتمع يقوم على وحدة المصير، حيث تتكامل القدرات الاقتصادية والبشرية لخدمة المصلحة العامة (أبو غدة، ٢٠٠١، ص١٧٦).ولم يقتصر أثر المؤاخاة على دعم القادرين على العمل فقط، بل امتد ليشمل الفئات الأضعف في المجتمع، مثل كبار السن، والأرامل، والأيتام، والمرضى الذين تضرروا من ظروف الهجرة أو فقدوا معيلهم. وقد وجه النبي ﷺ المجتمع المدني لرعاية هؤلاء رعاية خاصة، معتبرًا ذلك من صميم الأخوة الإيمانية (ابن كثير، ١٩٩٥، ص٤٥٩). وقد تكفّل الأنصار بتأمين احتياجات هؤلاء، سواء بالإيواء أو بالنفقة المباشرة، أو بدمجهم في أسرهم كما فعل كثير من الصحابة (البيطار، ٢٠٠٨، ص١٨٢).هذه الرعاية لم تكن عبئًا على المجتمع، بل كانت عنصر قوة، إذ ساهمت في استقرار الأوضاع الداخلية ومنع ظهور مشكلات اجتماعية قد تهدد وحدة الصف (السويدان، ٢٠٠٤، ص١٠٧). وبذلك شكّلت المؤاخاة أساسًا لشبكة حماية اجتماعية شاملة، جعلت جميع أفراد المجتمع – بغض النظر عن أوضاعهم الاقتصادية – شركاء في النهوض الحضاري الذي شهدته المدينة المنورة في السنوات التالية.

المبحث الثالث: الأبعاد الاقتصادية للمؤاخاة:

المطلب الأول: معالجة آثار الفقر والنزوح:

عانى المهاجرون من مكة إلى المدينة المنورة من أوضاع اقتصادية صعبة نتيجة ترك أموالهم وتجارتهم وممتلكاتهم خلفهم، الأمر الذي وضعهم في حالة نزوح حقيقية تحتاج إلى معالجة عاجلة. فكان من أولويات المؤاخاة النبوية إدماج هؤلاء المهاجرين في النشاط الاقتصادي القائم بالمدينة، وعدم تركهم عالة على المجتمع الجديد (المباركفوري، ٢٠٠٢، ص١٣٣). وقد تم ذلك عبر وسائل متعددة، أبرزها إلحاقهم بالأعمال التي تتناسب مع خبراتهم السابقة، حيث استثمر النبي ﷺ مهارات بعضهم في التجارة، واستفاد من خبرة آخرين في مجالات الإدارة والحرف (الغزالي، ٢٠٠٣، ص١٢٤).كما عمل الأنصار على إشراك المهاجرين في ملكياتهم الإنتاجية، سواء عبر تقاسم الأرض الزراعية أو مشاطرتهم في الأعمال التجارية، ما أتاح للمهاجرين موارد مالية تعينهم على الاستقلال تدريجيًا عن المساعدات المباشرة (أبو غدة، ٢٠٠١، ص١٧١). وهذا الاندماج السريع لم يكن مجرد مساعدة إنسانية، بل كان خطوة استراتيجية لضمان استقرار المجتمع الناشئ وتوزيع الجهد الإنتاجي بشكل عادل (ابن كثير، ١٩٩٥، ص٤٤٢).كانت المدينة المنورة تعتمد اقتصاديًا بشكل رئيس على الزراعة، وخاصة النخيل، بالإضافة إلى بعض الأنشطة التجارية والحرفية. ولذا فإن دمج المهاجرين في هذه القطاعات كان أمرًا حيويًا لتأمين معيشتهم وتخفيف آثار الفقر الذي صاحب هجرتهم (البيطار، ٢٠٠٨، ص١٧٦). وقد تولّى الأنصار تدريب المهاجرين على العمل الزراعي، حتى الذين لم تكن لهم خبرة سابقة في هذا المجال، كما في حالة عبد الرحمن بن عوف الذي دخل سوق المدينة ونجح في التجارة بجهده ومهارته (المرصفي، ٢٠٠٩، ص٢٩٢).أما في المجال التجاري، فقد فتح الأنصار أبواب شراكاتهم للمهاجرين، بل وأعاروهم رؤوس الأموال اللازمة لبدء النشاط، ما أسهم في نهضة اقتصادية سريعة. ولم تقتصر المشاركة على الزراعة والتجارة، بل شملت الصناعات والحرف، إذ التحق بعض المهاجرين بأعمال في النجارة والحدادة والدباغة وغيرها من الحرف التي كانت تحتاجها المدينة (السويدان، ٢٠٠٤، ص١٠٣). وبذلك تحولت المؤاخاة إلى منظومة إنتاجية متكاملة، ترفع مستوى المعيشة العام، وتحد من البطالة، وتضمن التكافل العملي بين أبناء المجتمع المدني الأول.

المطلب الثاني: تحقيق العدالة الاقتصادية:

جاءت المؤاخاة النبوية بين المهاجرين والأنصار كخطوة رائدة لتحقيق العدالة الاقتصادية في المجتمع المدني الناشئ، حيث لم تكن الأخوة مجرد رابطة وجدانية، بل ترجمت عمليًا إلى تبادل منافع مادية وخدمية بين الطرفين. فقد وزّع الأنصار مواردهم الزراعية والتجارية مع إخوانهم المهاجرين، إما بالمشاركة في الإنتاج أو بالتمليك المباشر لبعض الممتلكات (المباركفوري، ٢٠٠٢، ص١٣٥). هذا التوزيع لم يكن قائمًا على الصدقة المؤقتة، بل على أساس الشراكة المستمرة التي تحفظ كرامة المهاجر وتضمن له دورًا فاعلًا في دورة الإنتاج (الغزالي، ٢٠٠٣، ص١٢٩).وقد أبدع النبي ﷺ في ترسيخ هذه الآلية من خلال حث المهاجرين على بذل الجهد والعمل، لا الاكتفاء بالأخذ، ما جعل المؤاخاة تقوم على التبادل المتوازن للمنافع؛ فالأنصاري يقدّم الأرض أو رأس المال، والمهاجر يقدّم العمل والخبرة التجارية (أبو غدة، ٢٠٠١، ص١٧٥). هذه الصيغة من التعاون ضمنت توزيع الموارد بطريقة تقلل التفاوت الاقتصادي وتحقق التكافؤ بين أفراد المجتمع (ابن كثير، ١٩٩٥، ص٤٤٨).وكان لاستقرار السوق في المدينة أثر بالغ في نجاح المؤاخاة اقتصاديًا. فمع اندماج المهاجرين في الأنشطة الزراعية والتجارية والحرفية، ازداد حجم الإنتاج وتنوّعت مصادر الدخل، مما رفع مستوى الاكتفاء الذاتي للمجتمع (البيطار، ٢٠٠٨، ص١٧٩). وقد ساعد ذلك على خفض الأسعار نسبيًا، إذ ارتفع العرض نتيجة مشاركة المهاجرين في الإنتاج، كما انخفض الضغط على موارد الأنصار وحدهم (المرصفي، ٢٠٠٩، ص٢٩٥).كما وفّرت المؤاخاة بيئة اقتصادية قائمة على الثقة المتبادلة، فانتعشت المعاملات التجارية داخل السوق، وظهرت شراكات ناجحة بين المهاجرين والأنصار في مجالات الزراعة والنقل والبيع، الأمر الذي عزز الاستقرار الاقتصادي العام (السويدان، ٢٠٠٤، ص١٠٧؛ الندوي، ١٩٧٠، ص٢١٣). وبذلك كانت المؤاخاة النبوية نموذجًا عمليًا في الجمع بين التكافل الاجتماعي والتنمية الاقتصادية، مما جعل المجتمع المدني الأول قادرًا على الصمود أمام التحديات الداخلية والخارجية.

المبحث الرابع: الدروس المستفادة والتطبيقات المعاصرة:

المطلب الأول: الدروس المستفادة من المؤاخاة:

أظهرت المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار عبقرية القيادة النبوية في إدارة الأزمات المجتمعية المعقدة، إذ استطاع النبي ﷺ أن يحوّل أزمة الهجرة، بما تحمله من ضغوط اقتصادية ونفسية، إلى فرصة لبناء مجتمع متماسك قائم على التعاون والتكامل (المباركفوري، ٢٠٠٢، ص١٤١). فقد كان ﷺ حريصًا على اختيار الأزواج من المهاجرين والأنصار وفق معايير الحكمة والتكامل، لا على أساس القرابة أو العصبية، مما ضمن فعالية المؤاخاة ونجاحها في تحقيق أهدافها (الغزالي، ٢٠٠٣، ص١٤٥). كما برزت في هذه المبادرة القيم القيادية المتمثلة في العدالة، والقدرة على التحفيز، وإشراك جميع فئات المجتمع في الحلول العملية، بحيث شعر كل فرد أن له دورًا ورسالة (أبو غدة، ٢٠٠١، ص١٨٨). وهذه الإدارة النبوية جسّدت منهجًا فريدًا في توظيف الموارد البشرية والاجتماعية المتاحة، وإعادة توزيعها بما يخدم المصلحة العامة (المرصفي، ٢٠٠٩، ص٣٠٢).ولم تكن المؤاخاة مشروعًا مؤقتًا ينتهي بزوال الحاجة، بل وضع النبي ﷺ لها أسس الاستدامة عبر ترسيخ قيم الإيثار والرحمة والاحترام المتبادل، بحيث تصبح جزءًا من الهوية المجتمعية (البيطار، ٢٠٠٨، ص١٨٦). هذا التكافل استمر لاحقًا في صور متعددة، مثل التعاون في الغزوات، والمشاركة في الأعباء الاقتصادية، ورعاية الأرامل واليتامى (ابن كثير، ١٩٩٥، ص٤٥٢). كما أن المؤاخاة قدمت نموذجًا عمليًا لكيفية تحقيق الأمن الاجتماعي من خلال شبكة دعم متكاملة، تقوم على التكافؤ في الحقوق والواجبات، وتجمع بين الدعم المادي والدعم المعنوي (السويدان، ٢٠٠٤، ص١١٢). هذه القيم والممارسات أسست لبنية اجتماعية قادرة على الصمود في مواجهة الأزمات، وجعلت المجتمع المدني الأول نموذجًا يُحتذى في إدارة التنوع السكاني وتحقيق التماسك الداخلي.

المطلب الثاني: سبل الاستفادة في الواقع المعاصر:

تُعد تجربة المؤاخاة النبوية بين المهاجرين والأنصار نموذجًا رائدًا يمكن استلهامه في وضع أنظمة دعم اجتماعي واقتصادي معاصرة تراعي الضوابط الشرعية. فقد أثبتت هذه التجربة أن التكافل لا يتحقق فقط عبر المساعدات العاجلة، بل من خلال إدماج المحتاجين في المجتمع بصورة تحفظ كرامتهم وتحقق استقلالهم المعيشي (المباركفوري، ٢٠٠٢، ص١٤٣). وفي هذا السياق، يمكن للمؤسسات الخيرية والهيئات الاجتماعية الحديثة أن تعتمد آليات مستمدة من المؤاخاة، مثل الشراكات الإنتاجية، وتوزيع الموارد على أساس الكفاءة والحاجة، بدلًا من الاقتصار على الدعم النقدي المؤقت (الغزالي، ٢٠٠٣، ص١٥٢). كما أن المؤاخاة النبوية بيّنت أهمية التشريعات التي تكفل حقوق جميع الأفراد، وتضمن العدالة الاقتصادية من خلال سياسات واضحة تمنع الاحتكار وتحقق التوازن في توزيع الثروات (أبو غدة، ٢٠٠١، ص١٩٣). وهذا يتطلب أن تُبنى أنظمة الدعم الحديثة على قواعد فقهية راسخة، مع الاستفادة من الخبرات الإدارية والتنظيمية التي أرساها النبي ﷺ في المدينة المنورة (المرصفي، ٢٠٠٩، ص٣١٠).كما إن التحديات التي يواجهها العالم المعاصر، من أزمات اقتصادية، وكوارث طبيعية، وحروب ونزوح، تجعل من إحياء روح

المؤاخاة ضرورة ملحّة. فالمؤاخاة لم تكن مجرد تقاسم مادي، بل كانت مشروعًا لبناء الثقة المتبادلة وتحويل التضامن إلى ممارسة يومية (البيطار، ٢٠٠٨، ص١٩٢). وفي زمن تتزايد فيه الفجوات بين الطبقات، يمكن تبني برامج اجتماعية تحاكي المؤاخاة عبر تعزيز الروابط بين مختلف شرائح المجتمع، وإشراك الأغنياء في دعم الفقراء من خلال مشروعات تنموية مشتركة (ابن كثير، ١٩٩٥، ص٤٥٩). كما أن تعزيز روح التعاون في الأزمات يتطلب نشر ثقافة الإيثار التي تجلت في مجتمع الأنصار، حيث قدّموا المأوى والعمل والموارد للمهاجرين بلا منّ ولا أذى (السويدان، ٢٠٠٤، ص١١٨). ومن خلال استحضار هذه القيم وتطبيقها بوسائل معاصرة، يمكن للمجتمعات اليوم أن تبني جبهة داخلية متماسكة قادرة على مواجهة الأزمات والتحديات العالمية.

الخاتمة:

أظهرت دراسة المؤاخاة النبوية أنها كانت خطوة استراتيجية في بناء المجتمع المدني الأول، حيث استطاع النبي ﷺ من خلالها تحقيق تلاحم اجتماعي غير مسبوق بين المهاجرين والأنصار، قائم على أسس شرعية واضحة من القرآن والسنة. وقد بينت النتائج أن المؤاخاة لم تكن مجرد إجراء عابر، بل كانت مشروعًا متكاملًا لمعالجة آثار الفقر والنزوح، وتحقيق العدالة الاقتصادية، وبناء شبكة دعم اجتماعي متينة. كما ساهمت في إذابة الفوارق القبلية والمناطقية، وإشاعة قيم الإيثار والمحبة، مما أسس لاستقرار سياسي واقتصادي طويل المدى.

ومن أبرز النتائج المستخلصة:

١. المؤاخاة النبوية تمثل نموذجًا عمليًا لتطبيق مبادئ التكافل الاجتماعي في الواقع.
٢. الأسلوب النبوي في إدارة التنوع الاجتماعي يقدم درسًا مهمًا في القيادة المجتمعية.
٣. المؤاخاة ساهمت في تأسيس سوق متوازن قائم على التعاون وتبادل المنافع.
٤. قيم المؤاخاة قابلة للتكييف مع التحديات المعاصرة إذا تمت صياغتها في أطر مؤسسية حديثة.

أما أهم التوصيات فهي:

١. ضرورة استلهام التجربة النبوية في المؤاخاة لبناء أنظمة دعم اجتماعي واقتصادي في المجتمعات الحديثة.
٢. توسيع الدراسات التطبيقية التي تربط بين المؤاخاة النبوية والنماذج التنموية المعاصرة.
٣. تعزيز ثقافة الإيثار والتكافل في المناهج التعليمية والمؤسسات التربوية.
٤. دعم المبادرات المجتمعية القائمة على روح التعاون في مواجهة الأزمات الاقتصادية والاجتماعية.

المصادر:

١. إرواء الغليل في سيرة خير الخليقة النبيل، عثمان علي – دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ٢٠١٠ م.
٢. الإمام محمد ﷺ وطريق الدعوة، محمود شكري الألوسي – دار الحياة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٧٥ م.
٣. أنوار السيرة النبوية، عبد الله ويليامز – دار ابن الجوزي، دمشق، الطبعة الأولى، ١٩٩٨ م.
٤. الجامع الصحيح للسيرة النبوية، سعد المرصفي – دار ابن كثير، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٣٠ هـ / ٢٠٠٩ م.
٥. الحق المبين في سيرة سيد المرسلين، حسام الدين البيطار – دار المأمون، دمشق، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨ م.
٦. الرحيق المختوم، صفي الرحمن المباركفوري – دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢ م.
٧. زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم – دار الفيحاء، الدمام، الطبعة الثالثة، ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩ م.
٨. السيرة النبوية الكاملة، محمد الغزالي – دار الشروق، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣ م.
٩. السيرة النبوية بين الحاضر والماضي، حسن مظفر – دار المأمون، دمشق، الطبعة الأولى، ١٩٩٧ م.
١٠. السيرة النبوية كما جاءت في الأحاديث الصحيحة، محمد الصوياني – مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٤ م.
١١. السيرة النبوية لابن هشام، عبد الملك بن هشام – مصطفى البابي الحلبي، مصر، الطبعة الثانية، ١٣٧٥ هـ / ١٩٥٥ م.
١٢. السيرة النبوية لأبي الحسن الندوي، أبو الحسن الندوي – دار الذخيرة، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٧٠ م.
١٣. السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي، عبد الشافي محمد عبد اللطيف – دار السلام، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٨ هـ / ٢٠٠٧ م.
١٤. السيرة النبوية والدعوة في العهد المكي، أحمد غلوش – مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م.
١٥. السيرة النبوية وشخصية النبي ﷺ في ضوء القرآن والسنة، عبد المطلب أبو غدة – دار ابن عفّان، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠١ م.

١٦. شكراً رسول الله (السيرة في ضوء الأخلاق)، أحمد العجمي – دار الزاد، الرياض، الطبعة الأولى، ٢٠١٢ م.
١٧. فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة، عبد الرحمن العودة – دار البلد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٣٥ هـ / ٢٠١٤ م.
١٨. فقه السيرة النبوية، محمد الغزالي السقا – دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٢٧ هـ / ٢٠٠٦ م.
١٩. قصة محمد ﷺ (مقرأة ابن كثير)، ابن كثير – دار الكتاب الإسلامي، دمشق، الطبعة الأولى، ١٩٩٥ م.
٢٠. هدي السيرة النبوية، طارق السويدان – دار النوادر، الكويت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤ م.